

إرشاد الفكر إلى مشروعية سجود الشكر

تأليف
أبي عبد الرحمن محمد الجزائري

دار
الطبعة والنشر والتوزيع
34 حي لادويار - بوزريعة - الجزائر
الهاتف : 94-19-36 94-41-19 الفاكس : 94-17-75

جميع الحقوق محفوظة للنّاشر

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

مقدمة

إِنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله؛ فلا مضلَّ له، وَمَنْ يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سجدتُ لله شكراً»

[حديث صحيح]

فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١ - ٧٢].

أما بعد:

فإن شكر الله من أعلى منازل العبودية لله، «وهو نصف الإيمان، والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر»، وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه؛ فإنه سبحانه هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢١].

وقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾

[الإسراء: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وسمى نفسه شاكراً وشكوراً، وسمى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه، وسمَّاهم باسمه، وحسبك بهذا محبةً للشاكرين وفضلاً.

وإعادته للشاكر مشكوراً؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

ورضى الرب عن عبده به؛ كقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه؛ كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وفي «الصحيحين»^(١) عن النبي ﷺ : أنه قام حتى تورمت قدماه، فقليل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

وقال لمعاذ: «والله يا معاذ إنني لأحبك؛ فلا تنس أن تقول في دُبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢).

وفي «المسند» و«سنن الترمذي» من حديث ابن عباس^(٣)

(١) البخاري (١١٣٠ و ٤٨٣٦ و ٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩ و ٢٨٢٠).
و (تورمت): أي: انتفخت.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود وغيره. انظر: «صحيح الجامع الصغير» (٧٨٤٦) للالباني.

(٣) حديث صحيح. أخرجه: أحمد (١ / ٢٢٧)، والترمذي (٩ / ٥٣٨ - ٥٣٩ / ٣٦٢١ - تحفة) - وقال: «حديث حسن صحيح» - وابن ماجه (٣٨٣٠).

انظر: «صحيح سنن الترمذي» (٢٨١٦)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٠٨٨): كلاهما لمحدث الوقت بلا مدافعة شيخنا الألباني حفظه الله. و (مطوعاً): بكسر الميم؛ أي: كثير الطوع، وهو الانقياد والطاعة. و (مُخبِتاً): أي: خاشعاً. و (أَوَاهاً): أي: متضرعاً. وقيل: الأواه: البكاء. و (حويتي): بفتح الحاء، ويضم، ومعنى الجملة: امح ذنبي. و (اسأل): بضم اللام الأولى؛ أي: أخرج. و (سخيمة صدري): أي: غشه وغله وحقده.

رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى إلي، وانصرني على من بغى علي. رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك مطوعاً، لك مُخبِتاً، إليك أَوْاهاً منياً. رب تقبل توبتي، واغسل حويتي، وأجب دعوتي، وثبّت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسأل سَخيمة صدري»^(٤).

ولما كانت نعم الله تعالى على عباده نوعين: مستمرة ومتجددة؛ «فإن المستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شُرع لها سجود الشكر؛ شكراً لله عليها، وخضوعاً له ودُلاً، في مقابلة فرحة النعم، وانبساط النفس لها، وذلك من أكبر أدوائها؛ فإن الله سبحانه لا يحبُّ الفرحين ولا الأشربين، فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لرب العالمين، وكان في سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ما ليس في غيره»^(٥).

وأخيراً؛ فنضع بين يديك - أخي القارئ - هذه الجمل النبوية والآثار السلفية في بيان هذي خير البرية ﷺ وهذي أصحابه ذوي النفوس الزكية، في هذه الشعيرة الإسلامية، الموسومة

(٤) «مدارج السالكين» (٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣) لابن القيم بتصرف يسير.

(٥) «إعلام الموقعين» (٢ / ٤١٠) لابن القيم.